

العنف والقرابين البشرية في الطقوس الدينية - حضارة الأزتك أنموذجا -

Violence and human sacrifice in religious rituals - The Aztec civilization as a model -

ط د. شهرزاد بن معمور⁽¹⁾ * . أ.د. ليليا شنتوح⁽²⁾

⁽¹⁾⁽²⁾ كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، بن يوسف بن خدة، مخبر مناهج البحث في العلوم الإسلامية، الجزائر

⁽¹⁾c.benmammar@univ-alger.dz ⁽²⁾l.chentouh@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2024/09/05؛ تاريخ القبول: 2024/10/26؛ تاريخ النشر: 2024/12/22

ملخص:

تعد القرابين البشرية من أكثر المواضيع إثارة لاهتمام الباحثين والمؤرخين في التاريخ الإنساني والحضاري القديم، والتي تبرز مدى العلاقة العميقة بين الإنسان ومعبوداته، إذ كانت القرابين البشرية تقدم كتضحية للآلهة وللعالم المقدس من أجل إنقاذ البشر من الأوبئة والأمراض والجفاف وإنزال الأمطار، ولعل حضارة الأزتك أنموذجا حيا لهذه العادات الدينية التي مارسها في معابدها كجزء من عقيدتها الدينية، وقد بينت هذه الظاهرة مدى العنف واللاإنسانية في طقوس الممارسات.

وعليه نروم من خلال هذا البحث بيان هذه العقيدة والعادة المتأصلة في حضارة الأزتك من أوجه متعددة دينية واجتماعية واقتصادية.

كلمات مفتاحية: القرابين؛ الأضحية؛ الحضارات؛ الأزتك؛ الدين.

Abstract:

Human sacrifice is one of the most interesting topics for researchers and historians in ancient human and civilizational history s sacrifice to the gods and the sacred world in order to save human beings from epidemics, diseases, drought and rains. And the Aztec

civilization may be a vivid example of these religious customs that it has practised in its temples as part of its religious faith, this phenomenon has demonstrated the extent of violence and inhumanity in rituals of practice.

Through this research, this faith and the custom inherent in the Aztec civilization are reflected in various religious, social and economic aspects.

Keywords: Sacrifice; Sacrifice; Civilizations; Aztec; Religion.

المقدمة:

عرفت الحضارات الإنسانية القديمة ظاهرة تقديم القرابين والضحايا البشرية في مجتمعات وأزمنة مختلفة، ولعل حضارة الأزتك في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجا حيًا لهذه العادة التي مارسها في معابدها الدينية ردحا طويلا من الزمن، إذ يعكس هذا الموضوع أبعادا دينية وثقافية واجتماعية للإنسان عبر التاريخ، كما يسهم في تتبع التطورات التاريخية للشعوب والحضارات، وكان القرбан البشري شكلا من أشكال العنف الذي مارسه شعب الأزتك داخل المعابد.

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة تقديم فهم متكامل لظاهرة التضحية البشرية، مع التركيز على الأزتك كمثال، وهذا من خلال محاولة الإجابة عن الأسئلة التالية: ما مفهوم العنف والتضحية البشرية عند شعب الأزتك؟ ماهي أسس ممارستها عندهم؟ وما علاقتها بالنظم الاجتماعية والاقتصادية؟ ثم أخيرا ما هي تأثيرات ممارستها على أفرادهم ومجتمعهم؟ وقد اعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يسمح بتقديم صورة دقيقة وشاملة لظاهرة تقديم القرابين البشرية عند الأزتك ووصف الطقوس الدينية والممارسات المرتبطة بها، مع تقديم محاولة تحليل لحيثياتها، مع الاستعانة ببعض أدوات المنهج التاريخي لدراسة تطور هذه الممارسات عبر التاريخ، والمنهج النقدي في تقييم ونقد ما توصلنا إليه من نتائج.

المطلب الأول: العنف والقربان: مفهوما ونشأة

يجدر بنا قبل أن نتطرق لموضوع القرابين البشرية عند شعب الأزتك، أن نتناول بعض المفاهيم الأساسية الواردة في عنوان المقال، وهي العنف، والقرابين.

الفرع الأول: تعريف العنف

أولاً: لغة: تأتي مادة العنف في اللسان العربي بعدة معان منها: الشدة والقسوة والخرق بالأمر، وقلة الرفق به، وهو عنيف إذا لم يكن رقيقاً في أمره، يقال: اعتنق الأمر أخذه بشدة من القول والفعل⁽¹⁾.

جاء في مختار الصحاح: "بِالضَّمِّ ضِدُّ الرِّفْقِ تَقُولُ مِنْهُ: عُنْفَ عَلَيْهِ بِالضَّمِّ (عُنْفًا) وَ(عَنْفَ) بِهِ أَيضًا. وَ(التَّغْنِيفُ) التَّغْيِيرُ وَاللُّوْمُ. وَ(عُنْفَوَانُ) السَّيِّءُ أَوَّلُهُ"⁽²⁾، وورد في كتاب العين للخليل الفراهيدي (ت170هـ): "عنف: العُنْفُ: ضدُّ الرفق. عَنَفَ يَغْنُفُ عُنْفًا فهو عنيفٌ. وَعَنْفَتَهُ تَعْنِيفًا، وَوَجَدْتَ لَهُ عَلَيْكَ عُنْفًا وَمَشَقَّةً. وَعُنْفَوَانُ الشَّبَابُ: أَوَّلُ بَهْجَتِهِ، وَكَذَلِكَ النَّبَاتُ"⁽³⁾.

فنلاحظ أن أغلب المعاني اللغوية لمفردة العنف في المعجمات اللغوية متقاربة، وتأتي أغلبها بمعاني ضد الرفق واللين والشدة والقسوة..

ثانياً: اصطلاحاً: اشتق من المعنى اللغوي السابق للعنف معنى اصطلاحياً، فأصبح العنف يطلق على الضغط الجسدي باستعمال القوة والشدة ضد فرد أو جماعة من الأفراد، فقد عرفه حسن توفيق إبراهيم بأنه: "ضغط جسدي معنوي، ذو طابع فردي أو جماعي، ينزله الإنسان بالإنسان"⁽⁴⁾.

وعرفه أحمد زكي بدوي بأنه: «هو استعمال الضغط أو القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون⁽⁵⁾».

يتبين من خلال مجمل التعاريف السابقة أن معنى العنف هو كل سلوك فعلي أو

(1) انظر: ابن منظور: لسان العرب، د. ط. القاهرة: دار المعارف، د. ت. المجلد الرابع، ج 31، ص 3132.

(2) زين الدين الرازي: مختار الصحاح، ط 5، بيروت: المكتبة العصرية، 1999، ص 219.

(3) الخليل الفراهيدي: كتاب العين، تج: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، د. ط. دار ومكتبة الهلال، ج 2، ص 157.

(4) حسن توفيق إبراهيم: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، ط 2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999 م، ص 43.

(5) أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د. ط. مكتبة لبنان، ص 441.

قولي، يتضمن استخداما للقوة أو تهديدا باستخدامها، من أجل إلحاق الأذى بالآخرين.

الفرع الثاني: تعريف القرban

أولاً: لغة: جاء في اللسان العربي أنّ القرban هو ما يتقرب به إلى الله تعالى، وجمعه قرابين، تقول: تقرب تقرباً وتقرباً أي طلب القرية منه⁽¹⁾. وورد في "لسان العرب": «القرban بالضم هو ما قرب إلى الله عزوجل، تقول منه قربت لله قرباناً، وتقرب إلى الله بشيء أي طلب به القرية عنده تعالى، ونقل عن الليث أن القرban هو ما قربت إلى الله تبتغي بذلك قريةً ووسيلة»⁽²⁾.

ثانياً: اصطلاحاً: أما في الاصطلاح فإنّ القرابين هي الأضاحي البشرية أو الحيوانية التي تقدم للآلهة والتي تربط بين العالم الكوني والعالم المقدس، بغرض التوسل إليها لجر ما يبتغيه الأفراد والمجتمعات من منافع، ودفع ما يهددها من أضرار⁽³⁾.

الفرع الثالث: نشأة القرابين في التاريخ الإنساني

وجدت القرابين والأضاحي منذ وجود الإنسان على وجه الأرض، ولعل قصة قابيل وهابيل خير مثال على ذلك، فقد تقبلت من أحدهما دون الآخر، ثم تطورت القرابين في الحضارات الإنسانية تباعاً من خلال تقديم طقس القرban من حيوانات مثل: الحمل والجدي أو سواكل كالنبيد والجعة واللبن، والعسل والزيت، وهي أكثر السواكل استعمالاً، وكان القرban من الأضاحي أو غيرها يوضع على المذابح أمام تمثال الإله أو الآلهة، ثم يبدأ الحفل الديني بالصلوات والترانيم تصحبها بعض الطقوس العملية مثل: الرش بالماء المقدس، وكانت أجزاء معينة من القرابين مخصصة للإله أو الآلهة تحرق أو تسكب تكريماً لها، كما كانت أجزاء أخرى توجه للكهنة، ويرد الباقي إلى صاحب القرban، وكانت أغراضها في الأغلب الأعم تقدم للتكفير عن الذنوب، واكتساب رضا إله من الآلهة، أو حين تدشين معبد أو وضع تمثال جديد، وغيرها، وكانت تقدم كل يوم في المعابد في أوقات محددة⁽⁴⁾.

(1) انظر: مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 1299.

(2) ابن منظور، معجم لسان العرب، ص 3567.

(3) انظر: علي عبد الواحد وإفي، غرائب النظم والتقاليد والعادات، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، الجزء الأول، ص 82.

(4) انظر: سبتينو موسكاتي، ترجمة د السيد يعقوب بكر، الحضارات السامية القديمة، دار الرقي، بيروت، 1986،

والناظر في سجل التاريخ الإنساني يجد نوعاً آخر من القرابين قدمه الإنسان إلى آلهته، زعماً منه أنه من القرابين المفضلة للإله، وأنها ستنقذه من الكثير من الأوبئة والأمراض وأنواع الشر، يتمثل هذا النوع في القرابين البشرية، فالإنسان الحديث، وإن تبرأ من هذه الممارسات في الزمن الحاضر، وحاول تبرئة أجداده منها قبل مئات السنين، فالتاريخ لا يستطيع أن يجد دليلاً يثبت براءة أكثر أديان شعوب العالم القديمة من تقديم هذا النوع من القرابين⁽¹⁾، ويبدو أنه قد ظهرت العديد من النظريات التي حاولت تفسير هذه الطقوس، ومحاولة ربطها مع أكل بعض الشعوب البدائية للحوم البشر، والتي كانت تعتقد أن الآلهة تشارك في عملية الأكل بنفس الطريقة التي يفعلونها، فيعتقدون أن الآلهة تحتاج إلى الطعام، وتأكل مثل البشر كجزء من العلاقة بين الإله والبشر، وهناك من يربط بين هذه العادة وبين طقوس الزراعة أو ما يعرف بالبذر، فيرى أن هناك ترابط وثيق بين التضحية بالإنسان وبين عمليات أوان البذر والمحصول، إذ اعتقد الإنسان آنذاك أنه يعزز النجاح في الزراعة، ويضمن الغلاء والازدهار بتقديمه القرابين البشرية للآلهة⁽²⁾.

وباستقراء معظم القرابين البشرية نجد أن معظم الضحايا الإنسانية في الغالب تكون من الأطفال ذكورهم وإناثهم، ولاسيما أول من يولد منهم لأبويه، ومن البنات الأبيكار، وكذلك نجد فئة كبيرة من الضحايا تؤخذ من أسرى الحروب والرقيق، وفي حالات قليلة جداً كانت الضحايا تقدم من طبقات راقية من الشعب، فنجد من الأمم من قدمت ملوكها أنفسهم قرباناً لمعبوداتها⁽³⁾، وقد جاء تعليق رودريغو بولانوس بهذا الشأن (و هو خبير في علم الإنسان الطبيعي): «كنا نتوقع رجالاً فحسب، شبانا بطبيعة الحال، لأنهم مقاتلون، أما النساء والأطفال فإنك تفكر في أنهم لم يخوضوا القتال. شيء ما حدث ولا نعرفه، إنه أمر جديد بالفعل»⁽⁴⁾.

ومن بين الشعوب التي عرفت طقس تقديم القرابين البشرية، نجد حضارة الأزتكت في

ص 80-81 (بتصرف).

(1) انظر: فتحي محمد الزغي، القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2013، ص 198.

(2) انظر: فتحي محمد الزغي، مرجع سابق، ص 48-49 (بتصرف).

(3) انظر: علي عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص 83.

(4) انظر: برج من الجماجم البشرية بالمكسيك يعود لحضارة الأزتكت، موقع الجزيرة نت، 2024-06-05، 3:25.

<https://2u.pw/gVzsQTAE>

أمريكا اللاتينية كواحدة من أبرز الحضارات التي اعتمدت على هذه العادة الدينية. وهنا نتساءل عن حضارة الأزتك تاريخها وأفكارها؟

المطلب الثاني: نبذة تاريخية عن حضارة الأزتك: النشأة والأصول

سنستعرض من خلال هذا المطلب نبذة تاريخية عن حضارة الأزتك حضارة الأزتك، مع التركيز على نشأتها وأصول شعبها، سنكشف كيف ارتبطت هذه الحضارة بمكانها الجغرافي وسياقها التاريخي، مما أسهم في تشكيل هويتها الثقافية والاجتماعية المميزة.

الفرع الأول: نشأة حضارة الأزتك

ظهرت حضارة الأزتك في المكسيك بأمريكا الوسطى (1300م-1521م) بعد انهيار مملكة التولتيك التي كانت مملكة بسيطة، تقع على جزيرة على حسب بعض رواياتهم، ويعود ظهور الأزتك إلى أسطورة بروز الإله Huitzilopochtli (الطائر الطنان) لقائدهم في الحلم، والذي أشار عليه أن يأخذ قومه في رحلة هجرة ليجدوا لهم مكانا جديدا، وبعد رحلة طويلة برز لهم الإله في صورة صقر ضخم، وحط على تلك الأرض الموعودة، ليعلمهم بوصولهم لوجهتهم⁽¹⁾، وهناك بنى الأزتك مدينة Tenochtitlan التي تعرف حاليا بمدينة مكسيكو عاصمة جمهورية المكسيك، ومنها أخضعوا عددا كبيرا من التجمعات البشرية الأخرى المحيطة بالمدينة، مشكلة بذلك امبراطورية الأزتك، والتي أصبحت مدينة Tenochtitlan عاصمتها⁽²⁾.

وبهذا كان حوض المكسيك الركن الجغرافي الرئيسي لأرض الأزتك، وهو سهل مرتفع تحيط به من جميع جوانبه سلسلة من الجبال والهضاب التي شكلت للأزتك نظاما بيئيا مستقلا، مليء بالينابيع والمياه المذابة من ثلوج الجبال، كما ساهمت مياه الأمطار الصيفية الغزيرة في تشكيل شريط مائي، وفر للسكان وسيلة للنقل والتواصل⁽³⁾. فالحوض الجغرافي لحوض المكسيك كان أحد العوامل المهمة التي أسهمت في تحديد نمط حياة الأزتك،

(1) انظر: ديفيد كراسكو وسكوت سيشونز، عصر الأزتك أمة الشمس والأرض، دار الكلمة، أبوظبي، 2012، ص24.

(2) انظر: عمار محمد النهار، الحضارات القديمة في أمريكا اللاتينية الأزتك والمايا، مجلة الأدب العلمي، العددان 51-52، 2017، ص38.

(3) انظر: ديفيد كراسكو وسكوت سيشونز، مرجع سابق، ص25.

وتكوين بيئتهم وأسلوب حياتهم الاقتصادي والاجتماعي.

الفرع الثاني: أصول شعب الأزتک

ظهرت في تفسير أصول شعب الأزتک عدة فرضيات، وانقسمت في مجملها إلى مدرستين: مدرسة الأوتوكتونية ومدرسة المهاجرين.⁽¹⁾

أولاً: مدرسة الأوتوكتونية: يذهب أصحاب هذه المدرسة إلى أنّ الإنسان قد ظهر في مناطق مختلفة من الكرة الأرضية بما فيها القارة الأمريكية، وأنّ الرجل الأرتكي هو من السكان الأصليين للأمريكتين.

ثانياً: مدرسة المهاجرين: الذين يقولون بأنّ السكان الأصليين لأمريكا قد جاؤوا من مناطق مختلفة من بقاع الأرض ، فمنهم من أشار إلى وجود أوجه تشابه بين فن العمارة والمعابد والمباني عند قبائل الأزتک ومثيلاتها في مصر، فافترض أن مصر هي الموطن الأصلي لحضارات الهنود الأمريكيين، ولكن عند التدقيق في مقاصد هذه البنايات، فستجد أنّ أهرامات مصر قد بنيت بهدف أن تكون أضرحة للملوك الفراعنة وأسرههم، بينما كانت المعابد والأهرامات في حضارة الأزتک مركزاً لممارسة الشعائر والطقوس والاستعراضات الملكية، وهناك فريقاً ثالثاً ذهب إلى أنّ بعض الآسيويين هاجروا إلى القارة الأمريكية، ونقلوا معهم رموزاً، وممارسات شعائرية إلى أسلاف الأزتک، وهناك من افترض أنّهم شعوب من البحر الأبيض المتوسط نجحوا في عبور المحيط الأطلسي نحو أمريكا، واستقروا بها، وهناك من ربطهم بقارة أتلانتيس المفقودة في المحيط الهندي، فافترضوا أنّ سكان أمريكا كانوا ممن نجوا بأنفسهم من الغرق ، ونقلوا حضارتهم إلى هناك.⁽²⁾ وقد تم تقسيم مجتمع الأزتک إلى ثلاث طبقات: طبقة النبلاء، طبقة الشعب، وأخيراً طبقة العبيد.⁽³⁾

فالببحث إذا في أصول الأزتک يستمر في إثارة تساؤلات وفرضيات متعددة، والتي

(1) انظر: وخينيوتشانج رودريجث، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ترجمة عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998، ص 63.

(2) انظر: ديفيد كراسكو وسكوت سيشونز، مرجع سابق، ص 42-46 (بتصرف).

(3) انظر: ب رادين، الحضارات الهندية في أمريكا، ترجمة يوسف شلب الشام، دار المنار للدراسات والترجمة والنشر، الجمهورية العربية السورية، 1989، ص 87، وديفيد كراسكو وسكوت سيشونز، مرجع سابق، ص 185.

تعكس تعقيد الحضارات القديمة وتفاعلها المحتمل مع ثقافات أخرى في مختلف أنحاء العالم، وتبقى كلها مجرد فرضيات لا دليل حاسم يثبت صحتها.

المطلب الثالث: الدين والطقوس في حضارة الأزتك

ومن خلال هذا المطلب سنحاول اكتشاف كيف أن الآلهة والطقوس لعبت دورا محوريا في تشكيل المجتمع الأزتكى وعملياته الدينية، وكيف كانت هذه الطقوس تعكس فهمهم للعالم ودورهم في العلاقة مع القوى الإلهية.

الفرع الأول: النظام الديني لحضارة الأزتك

كان الدين في حضارة الأزتك أساس حياتهم، حيث كانوا يقضون معظم أوقاتهم للعبادة، وقد عرفوا التعدد الإلهي شأنهم في ذلك شأن أغلب الشعوب القديمة، فمن خلال مخطوطات فيجير فاري- ماير codex Fejérváry- Mayer، نجد أنّ تنظيم الآلهة كان حسب أقسام الكون، فلكل مجموعة اجتماعية آلهة تحميمهم، وتوجه أعمالهم وحياتهم الاجتماعية، وهي على قسمين: جماعة "الببتلين" وهي آلهة تدرب أفرادها كي يحكموا المجتمع، والمجموعة الثانية هي "الماسيوالتين" وهي المسؤولة عن العمال الذين يعملون في خدمة المجتمع⁽¹⁾.

تقوم ديانة الأزتيك على تجسيد قوى الطبيعة وظواهرها، وقد تأثرت بديانات الحضارات السابقة فصار لها مجمع آلهة، وتراث من المعتقدات النازمة لذلك المجتمع الديني الذي يقدر الآلهة، ويشن الحروب من أجلها. ومن أهم الآلهة التي عبدها، وشيدوا لها معبدا ضخما نجد الإله هويتز يلوپوشتي Huitzilopochtli رب القبيلة الأقدم، وإله الحرب والصيد، ويمثل في صورة طائر ساحر مع الشمس، نجد كذلك من الآلهة الإله تلالوك Tlaloc إله المطر والصواعق، وثمة أرباب آخرون لكل منهم وظيفته، وفي مقدمتهم كويت ازلكوatl Quitzalcoatl، وهو إله الرياح، ومن الآلهة كذلك نجد الإله تزكاتلبوكا Tezcatlipoca، وهو إله السماء، وكذلك الإله كاتليكو Catlico إله الأرض والزراعة... وغيرها كثير، وكلها تتمثل في ظواهر الطبيعة كالماء والأزهار، والجمال والنبات والخصب،

(1) انظر: ديفيد كراسكو وسكوت سيشونز، مرجع سابق، ص 182 (بتصرف).

ولكل منهما يوم خاص وشعائر ومراسم غايتها التقرب منها واسترضاؤها⁽¹⁾.
ويبدو أنّ اهتمام شعب الأتراك بالزراعة اهتماما كبيرا كمصدر للقوت والحياة، أوجد عندهم عددا كبيرا من الآلهة الزراعية، فنجد مثلا سنتيوتل للذرة وزايب توتك للربيع وإحياء الأرض، وكانت أهم الطقوس الدينية تقام أيام الزراعة والحصاد، ومناسبات أخرى خلال السنة الزراعية، وكانت تهدف إلى إرضاء آلهتهم لأجل ضمان المحاصيل الوفيرة⁽²⁾، فكما أظهرت الآثار مثلا تحت أرضية معبد "تيمبلو مايور" مجموعة من التماثيل الهبات قدمت إلى إله المطر تلالوك، وكذلك لوحات رسمت قرايين شعائرية قدمت على شرف هذا الإله، فقد كانوا حريصين جدا على إكرام قوى المطر الزراعة والماء وتقديسها⁽³⁾.

ومما تميزت به حضارة الأتراك المعابد الهرمية التي تعتبر من أهم المنشآت الدينية، وغالبا ما تكون على قمة الأهرام الشاهقة لأسباب عقائدية، فهم بذلك حسب تفكيرهم أقرب ما يكونون فيه إلى السماء، حيث آلهة الشمس والقمر، وفيها يتم ممارسة طقس تقديم القرابين البشرية⁽⁴⁾، وقد تميز نظام البناء عندهم بدرجة كبيرة من التعقيد من حيث الحجم والتصميم الدقيق والدرجة العالية من تفاني العمال، وكان تشييد هذه البنايات الضخمة ليس بسبب خوفهم من الحكومة إنّما بسبب خوفهم من الآلهة⁽⁵⁾.

فالقريان البشري كان إذا شكلا من أشكال العنف تمت ممارسته داخل مراكز شعائرية معينة، بهدف مساعدة الأتراك على التواصل مع الآلهة والقوى والكائنات المقدسة، وقد أدى تخصيص تلك الأماكن المقدسة لحصر هذا العمل ليوفر مجالا للقائمين على تقديم القرابين في أفكارهم ومشاعرهم، وهذا بغرض تعزيز التأثير الروحي، وجعل تجربة التضحية أكثر تأثيرا على الفرد والمجتمع⁽⁶⁾. يقول بول رادين بهذا الشأن: «...»

(1) انظر: زينب عبد التواب رياض خميس، الأحجار الدامية في أهرامات الأضاحي البشرية بحضارتي المايا والأتراك، مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث، مجلد 5، العدد 2، 2019، ص 228 (بتصرف).

(2) انظر: عمار محمد النهار، مرجع سابق، ص 37.

(3) انظر: ديفيد كراسكو وسكوت سيشونز، مرجع سابق، ص 26.

(4) انظر: زينب عبد التواب رياض خميس، المرجع نفسه، ص 242.

(5) انظر: أوكينيوتشانج رودريجيث، مرجع سابق ص 71.

(6) انظر: ديفيد كراسكو وسكوت سيشونز، مرجع سابق، ص 253.

ومما يجعل هذه القسوة أكثر رهبة، هي أنها لم تكن عمل قريحة شخصية وإنما كانت تستمد كل فظاعتها من تكرار آلي ذي فواصل ثابتة لدراما دينية.⁽¹⁾

الفرع الثاني: طقس تقديم القرايين البشرية عند الأزتك

أولاً: أساليب تقديم القرايين البشرية عند الأزتك: قبل مناقشة طقس القرايين البشرية لابد أولاً من شرح ما تقوم عليه الفلسفة الأزتكية⁽²⁾، فهم يقولون: إنّ الجسد البشري مخزون حي للقوى المقدسة في العالم، وأنّ القلب والرأس متلقين لمصادر القوة والتجدد في الطبيعة، فالجسد حسيم ليس مجرد كائن حي بيولوجي، بل يحمل أبعاداً روحية وقديسة، واعتبروا القلب والرأس أماكن متلقية للقوى والتجديد، فمن خلالها يتحقق التواصل مع القوى الروحية في الطبيعة، والتي تعد مصدراً حيوياً للقوة والتجديد.

كما استندت الديانة والحياة اليومية الأزتكية على فكرتين: أولاً فكرة تكرار صنع الآلهة في الخلق والتدمير، وثانياً: تغذية الآلهة عبر تقديم هبات من الطاقة المقدسة،⁽³⁾ أي أنهم يعتقدون بوجود دورة متجددة للخلق والتدمير، وبها يتحقق التوازن الكوني، والحياة الدائمة والتجديد، كما يعتبرون أن تقديم الهبات من الطاقة المقدسة وسيلة لتغذية الآلهة والمساهمة في تحفيز دورتها الطبيعية. وعلى هذا الأساس كان يمارس طقس تقديم القرايين البشرية عند الأزتك.

في الغالب كان طقس تقديم القرايين البشرية يتم في مواعيد محددة من كل شهر من الأشهر الثمانية عشر حسب تقويم شعب الأزتك، وقد تم تخصيص كل شهر لإله معين، وباسم هذا الإله تتم إقامة وليمة بها العديد من الاحتفالات يتخللها تقديم الأضاحي البشرية، وهذه من بين أهم الاحتفالات الدينية التي يتم فيها تقديم القرايين البشرية⁽⁴⁾:

(1) انظر: ب رادين، مرجع سابق، ص 88.

(2) انظر: زينب عبد التواب رياض، دماء على بوابات العالم السفلي، مؤسسة الهنداوي، 2021، ص 115.

(3) انظر: ديفيد كراسكو وسكوت سيشونز، مرجع سابق، ص 250.

(4) N.V. Silberman, Aztec Human Sacrifices, Leiden University, Faculty of Archaeology, 2012, page 15.

الجدول 1: أهم الاحتفالات الدينية عند الأزتك

اسم المهرجان	طقس التضحية	الإله الراعي	الضحية البشرية	الهدف المرجو
Atlahualco	استخراج القلب وطهو الجثة وأكلها	,Tlalocs ,Chalchiutlicue ,Quetzalcoatl	الأطفال والأسرى.	من أجل منحهم المطر من إله المطر.
Tlacaxipeualiztli	استخراج القلب وسلخ الجلد وارتدائه من طرف مقلد الإله، وطهي باقي الجثة وتناولها	Xipe Totec ,Huitzilopochtli	الأسرى.	من أجل المطر وتجديد الغطاء النباتي.
Toxcatl	استخراج القلب ثم الرأس ومن ثم وضع الرأس على رفوف الجماجم	,Tezcatlipoca ,Titlacauan ,Huitzilopochtli ,Tlachahuepan ,Cuexcotzin	شاب كامل بهي الخلق لا يشكو من أي عيب.	من أجل خصوبة الأرض بعد فترة الجفاف.
Veytecuilhuitl	قطع الرأس ثم قطع القلب	,Xilonen Chicomecoatl Ehecatl, -Quilaztli ,Cihuacoatl	امرأة تنتحل صفة إله.	من أجل جودة الذرة.
Tozoztontli	استخراج القلب	,Tlaloc Chalchiutlicue and Coatlicue	الأطفال	من أجل هطول الأمطار
Etzalcualiztli	تضحية الكهنة بأنفسهم، تقطيع أذان الأسرى بأدوات حادة، استخراج قلوب العبيد	.Tlalocs	الكهنة، الأسرى، العبيد.	من أجل الخصوبة

Silberman, Aztec Human Sacrifices. 2012. Page 15

فنلاحظ من خلال الجدول أنّ أكثر الضحايا من الأطفال والنساء والأسرى والكهنة، وأنّ أغلب أسباب تقديم القرابين هو إنزال الأمطار، والجفاف، وجودة المحاصيل والخصوبة، واللافت أنّ الأمطار أكثر أسباب تقديم الضحايا الأبرياء، كما أنّ طقس التضحية يبين مدى العنف واللارحمة في تقديمه، فمجرد قتل الضحية يعتبر جريمة

نكراء، فما بالك بسلخ الجلد، وشق الصدر واستخراج القلب، وترك الجثة تتعفن وهلمّ جراً من الممارسات الهمجية غير الإنسانية لشعب الأزتكتية.

وبشكل عام كان طقس القرбан البشري يبدأ دائماً بمرحلة إعدادية، وفيها يصوم الكهنة، ويسمى ذلك بالصيام الكهني، وتدوم أربعة أيام أو أضعاف أربعة أيام، ويتم خلال هذه المرحلة سهر الليالي وتقديم هبات من الأزهار والأطعمة والملابس، وإشعال البخور وسكب كؤوس الخمر، كما تسير مواكب مہرجة يشكلها مشاركون يرتدون أبهى الملابس، ويسيروا بمرافقة مجموعات موسيقية وينشدون الأناشيد الدينية، ويمرون عبر المركز الشعائري للوصول إلى المعبد المحدد لتقديم القرбан⁽¹⁾.

أما بالنسبة للضحية البشرية، فقد كان الأزتكت يتفنون في طرق تقديمها، فنجد أولاً التضحية العادية، حيث تتمدد الضحية على حجر التضحية، بينما يمسك برأسها وأطرافها خمسة من الكهنة، ثم يقوم منفذ التضحية بفتح صدرها بسكين من الحجر ويمد يده ليستخرج القلب، ويقدمه للإله أو يقدمه مباشرة إلى الشمس، وبعد إتمام العملية تتدحرج الضحية من أعلى الهرم إلى الأسفل قبل أن يتم الاستيلاء عليها وتقطيعها إلى أجزاء، كما نجد الكثير من الطرق الأخرى التي تم بها تقديم القرбан البشري، كتقطيع الرأس أو السلخ والرمي بالسهم أو الإحراق بالنار⁽²⁾.

كما شاع عندهم نوع آخر من التضحية وهو التضحية بالنفس، حيث تتم عن طريق استخدام أشواك الصبار الأمريكي أو غيرها من الأدوات الحادة في وخز شحومات الأذن والأفخاذ والأذرع واللسان، من أجل تقديم الدماء للآلهة⁽³⁾.

لكن تبقى أشد عمليات تقديم الأضاحي دراماتيكية، تلك التي كانت تتم على الأسرى من المحاربين والعبيد، حيث يخضع أولئك الضحايا أولاً لعملية اغتسال شعائرية، ثم يلبسون ملابس أنيقة ويدربون على أداء رقصات خاصة، وفي بعض الأحيان كان يتم إخضاعهم لبرامج غذائية لزيادة الوزن أو لإنقاصها، وكل هذا من أجل الظهور بصورة

(1) ديفيد كراسكو وسكوت سيشونز، مرجع سابق، ص 254 (بتصرف).

(2) ب رادين، مرجع سابق، ص 85.

(3) ديفيد كراسكو وسكوت سيشونز، مرجع سابق، ص 254.

معينة أمام الآلهة، في الأخير يتم اقتياد الضحية إلى أعلى المعبد، ومن ثم يتم استخراج القلب، وتقديمه للآلهة⁽¹⁾.

وكان الاعتقاد السائد عندهم أن من يضحي بنفسه، أو من يقدم كأضحية فهو خالد لأنه ضحى بنفسه لنيل رضا الإله، وقد كانت الطقوس تتم بلا رحمة ولا تراجع في ذلك، فبمجرد أن يصعد المضحى به إلى أعلى المعبد، يتم قتله واستخراج قلبه، ومن ثم إلقاؤه من الأعلى، فهو موت حتي صعد ليناله سواء كان ذلك برضاه أو رغما عنه⁽²⁾.

يلقى ديفيد كراسكو وسكوت سيشونز حول فضاغة هذه الطقوس ووحشيتها: «من الصعب عدم الدهشة، وأحيانا بخيبة أمل، أمام تلك الأشكال من العنف والشعائر، وذلك مهما بذلنا من جهد لفهم مغزى تلك السلوكيات، فقد وصل العنف البشري عند الأزتكت إلى درجة خارقة في التاريخ البشري، وإن هذه الحقيقة بالذات تدعونا لدراستهم ومحاولة فهمهم...»⁽³⁾.

كل هذه التفاصيل المروعة التي تصف لنا عمليات تقديم الأضاحي البشرية، تدفعنا للتساؤل كيف يعقل أن يكون شعبا أتقن مختلف الفنون من نحت ورسم وشعر، وكذلك الصناعات الحرفية والزراعة والتجارة، يمثل هذه الصورة الهمجية والعنيفة؟

ثانيا: أسباب تقديم القرابين عند شعب الأزتكت: حاول علماء التاريخ تقديم أسباب ونظريات تفسر سبب إقدام شعب الأزتكت على تقديم الأضاحي البشرية بشكل مفرط⁽⁴⁾ إلى عدة آراء منها:

الرأي الأول: يذهب أصحابه إلى أن شعب الأزتكت يفتقدون في غذائهم للبروتينات، لذلك حاولوا تعويضها بأكل أجزاء من أجسام بشرية، غير أن هذه النظرية تفتقر إلى الدقة والعلمية، ذلك أن غذاء الأزتكت كان يفتقر إلى البروتين الحيواني، ولكنه كان غنيا بالبروتين النباتي. كما أن كميات اللحوم المتناولة أثناء تقديم الطقوس كانت قليلة جدا بالمقارنة مع ما

(1) ديفيد كراسكو وسكوت سيشونز، المرجع نفسه، ص 254 (بتصرف).

(2) زينب عبد التواب رياض، مرجع سابق، ص 118.

(3) ديفيد كراسكو وسكوت سيشونز، مرجع سابق، ص 276.

(4) زينب عبد التواب رياض، مرجع سابق، ص 119.

يريدہ الجسم.

الرأي الثاني: يذهب أتباعه إلى أنَّ شعب الأزتک كانوا يستعملون القرايين البشرية من أجل الدعاية وإثارة الرعب في نفوس أعدائهم، فكانوا يببالغون في إعداد الضحايا من أجل بث الخوف وإضعاف مقاومة العدو، أي أنهم مارسوا هذا النوع من التضحية كجزء من استراتيجيتهم الحربية، ويبدو أنَّ الهدف من ذلك هو إيهام العدو بالقوة والتفوق. لكن يبقى ارتباط مواعيد تقديم أغلب القرايين بالمناسبات الكبيرة المتعلقة بأيام الزراعة والحصاد لا يخدم هذه النظرية.

الرأي الثالث: يكذب أتباعه كل ما يتم تداوله حول حضارة الأزتک والقرايين البشرية، ويؤكد أتباع هذا الرأي أنها في مجملها عبارة عن افتراءات لا أساس لها من الصحة، قام به المستعمرون الإسبان من أجل تشويه صورة شعوب الهنود الحمر في أمريكا وتبرير المجازر التي قاموا بها في حقهم، وكان أحفاد الأزتک في المكسيك مؤيدو هذه النظرية. لكن إن كانت هذه النظرية قد تحمل شيئا من الصواب، تبقى هناك حقيقة أنَّ الكثير من النقوش والرسومات المأخوذة من معابد وآثار الأزتک تدل بلا شك على ممارسة طقوس تقديم الأضاحي البشرية عندهم. وأضيف أنَّ هذه العادة ليست بالشيء الجديد في التاريخ، فقد عرفت عدة حضارات غير الأزتک التضحيات والقرايين البشرية، لذلك لا يستبعد أن تكون الأزتک كذلك قد مارست هذه العادة.

خاتمة:

وختاماً لدراستنا حول موضوع "العنف والقرايين البشرية في الطقوس الدينية - حضارة الأزتک نموذجا- يمكننا التوصل للنتائج التالية:

أولاً: تقديم القرايين البشرية يعود إلى عصور قديمة جداً لا يمكن تحديد بدايتها أين كانت بالضبط، وهي لا تقتصر على حقبة زمنية معينة، ولا على شعب معين، بل عرفت العديد من الحضارات في مختلف الأزمنة، وكانت حضارة الأزتک من بين الشعوب الذين تبنوا هذه العادة.

ثانياً: تقديم القرايين البشرية يعكس رغبة الإنسان في التقرب إلى المعبودات، فكان التقرب بالأضاحي وسيلة لربط العالم الكوني بالعالم المقدس وسبيل لإنقاذ البشر من

الأوبئة والأمراض والشر.

ثالثا: كانت جغرافيا أرض الميكسيك ومناخها من أهم العوامل التي أسهمت في تحديد نمط حياة الأزتک وتكوين بيئتهم وأسلوب حياتهم الاقتصادي والاجتماعي، وبالتالي تحديد نظامهم الديني وفقا لذلك.

رابعا: كان شعب الأزتک من أكثر الشعوب تدينا وخضوعا للآلهة، وكان حرصهم شديد على تشييد المباني الدينية وتخصيص أماكن لعباداتهم وطقوسهم، وكان نمط البناء المستخدم عندهم مبني على عقيدة دينية، فهم يسعون إلى سهولة التواصل مع الآلهة والحرص على قبول قربانهم.

خامسا: كانت التضحية البشرية من أهم الطقوس التي مارسها شعب الأزتک في معابدهم، فقد كانت وسيلة لتحقيق رضا الآلهة، والموت مقتولا في طقس تقديم القربان البشري هو وسيلة لتحقيق الخلود والرضا الإلهي، سواء كان المضحي به موافقا أو مرغما على ذلك.

سادسا: الكائن البشري ليس مجرد مخلوق حي بيولوجي، بل يحمل أبعادا روحية و قدسية، فهو مخزن حي للقوى المقدسة في العالم، وقد اعتبروا القلب والرأس أماكن متلقية للقوى والتجديد، فمن خلالهما يتحقق التواصل مع القوى الروحية في الطبيعة.

سابعا: تقديم الإنسان للآلهة كان وسيلة لتغذيتهم، فالإنسان كما سبق يشكل مخزنا حيا للقوى المقدسة، والتي تعتبر ضرورة لآلهتهم من أجل تحفيز دورتهم الطبيعية في الخلق والتدمير.

ثامنا: لقد خلفت هذه العادة الدموية على البشر كثيرا من المصائب والويلات، فقد تشكلت بسببها أمهات، وتيتم أطفال، وأجبر آباء على تقديم أبنائهم قربانا بأيديهم، وذهبت الكثير من الأرواح هدرا فأصبحت طعاما للنيران والأسماك.

تاسعا: جاءت عدة نظريات محاولة تفسير إقدام شعب الأزتک على تقديم التضحيات البشرية بذلك الشكل المفرط، وقد كان لها جانب من الصواب وجانب انتقدت منه، لذلك لا بد دائما من مراعاة ضرورة تقديم أدلة تاريخية قوية لدعم مثل هذه الافتراضات حينما يتم مناقشة تفاصيل محددة حول تاريخ وعادات حضارة معينة.

المراجع:

المراجع العربية:

أولاً: المؤلفات

- ابن منظور (محمد بن مكرم)، معجم لسان العرب، د.ط، القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د.ط، مكتبة لبنان، د.ت.
- ب رادين، الحضارات الهندية في أمريكا، ترجمة يوسف شلب الشام، د.ط، الجمهورية العربية السورية: دار المنار للدراسات والترجمة والنشر، 1989.
- حسن توفيق إبراهيم: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، ط:2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999م.
- الخليل الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، د.ط، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- ديفيد كراسكو وسكوت سيشونز، عصر الأزتک أمة الشمس والأرض، د.ط، أبو ظبي: دار الكلمة، د.ت.
- رودريجت (أوخينيوتشانج)، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ترجمة عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد، د.ط، مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 1998.
- رياض (زينب عبد التواب)، دماء على بوابات العالم السفلي، د.ط، مؤسسة الهنداوي، 2021.
- الزغبى، (فتحي محمد)، القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود، د.ط، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2013.
- زين الدين الرازي: مختار الصحاح، ط:5، بيروت: المكتبة العصرية، 1999.
- الفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، د.ط، القاهرة: دار الحديث، 2008.
- الماجدي (خزعل)، بخور الآلهة، دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، د.ط، الأردن: دار الأهلية للنشر والتوزيع، 1998.
- موسكاتي (سبتينو)، ترجمة د السيد يعقوب بكر، الحضارات السامية القديمة، د.ط، بيروت: دار الرقي، 1986.
- وافي (علي عبد الواحد)، غرائب النظم والتقاليد والعادات، د.ط، القاهرة: مكتبة نهضة،

د.ت.

ثانياً: المقالات

- النهار، (عمار محمد)، الحضارات القديمة في أمريكا اللاتينية الأزتك المايا، مجلة الأدب العلمي، العددان 51-52، 2017.

- خميس (زينب عبد التواب رياض)، الأحجار الدامية في أهرامات الأضاحي البشرية بحضارتي المايا والأزتك، مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث، مجلد 5، العدد 2، 2019.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية

- برج من الجماجم البشرية بالمكسيك يعود لحضارة الأزتيك، موقع الجزيرة نت: <https://2u.pw/gVzsQTAE>، 05 جوان 2024.

المراجع الأجنبية:

- N.V. Silberman, **Aztec Human Sacrifices**, Leiden University, Faculty of Archaeology, 2012.